جامعة البصرة
كلية الفنون الجميلة
قسم الفنون التشكيلية
الدراسات العليا
الماجستـــــير

اسم التدريسي : اسماء سمير
اسم المادة : نظريات التطور في الفنون
عدد الوحدات : (١)
تسلسل المحاضرة السادسة ١٦ /٤/ ٢٠٢٤
عنوان المحاضرة : التطور في فنون عصر النهضة
(المراحل والتعاقبات في الاسلوب)

ان احياء الفلسفة الانسانية القائمة على المذهب الطبيعي في الفن والعلم ، وفي النظرة العامة الى الحياة ، خطوة نحو احياء التفكير التطوري[1] " توماس مونرو

بهذه العبارة يفسر مونرو تطور الفنون والمرحلة التاريخية الانتقالية من العصور الوسطى الى عصر النهضة مشيراً الى صعود حركة الفكر الفلسفي نحو المذهب الطبيعي الذي اضفى على فنون عصر النهضة موقفاً انسانياً واكثر قرباً من الواقع فثمة انتقالة من المثالية الصارمة التي عرفت بها عصور الوسطى الى رؤية انسانية واقعية مع عصر النهضة جاءت بفعل الاكتشافات والتطورات العلمية بما استدعى تخفيف وطأة الدين والنزعة الروحانية ثم صعود العقل ومركزية الانسان ، لذا فأن فهم اي تحول وتجديد في حركة الفن يقتضي دراسة الارضية المعرفية لكل مرحلة تاريخية وشروط انتاجها للخطابات الفنية وذلك الاجراء يضعنا امام سلسلة من البناءات الفكرية والاساليب الفنية . ولتوضيح اهم محركات تطور فنون عصر النهضة لا بد من المرور بفنون العصور الوسطى لفهم الحركة التطورية لفنون عصر النهضة .

<u>فنون العصور الوسطى</u>

وصف المؤرخون تلك الفترة بالعصور المظلمة لتراجعها عن ما عرفت به الفنون الاغريقية من اتقان وحرفية عالية فثمة انتقالة من التجسيد الى الرمزية في الفن كأجراء لحفظ وترسيخ العقيدة المسيحية لذا فأن الحديث عن فن العصور الوسطى يعني اننا امام مرحلة اتسمت بالتزام ديني فرضت على الفن شروطاً اهمها تصعيد الجانب الروحي على الدنيوي لتتصدر قصص الانجيل وصورة السيد العذراء و السيد المسيح (ع) مواضيع النتاجات الفنية حتى عرفت فنون ذلك العصر بفن الايقونة او الفن المسيحي ، فثمة تغير في طبيعة الثقافة الفنية ووظيفة الفن الاجتماعية من جهة ، وولادة أشكال فنية تلبي الاحتياجات العقائدية للدولة والمؤسسات الدينية من جهة أخرى وقد استدعت هذه الانتقالة تقويض التقاليد الجمالية الكلاسيكية الاغريقية وتحريمها لارتباطها من جانب بالوثنية ومن جانب اخر اسلوبها التجسيدي ومحاكاة الواقع ولتجنب التذكير بالاوثان ، لذا توجهت الفنون المبكرة

[1] توماس مونرو : التطور في الفنون ج١ . تر. محمد علي ابو درة . م. احمد نجيب هاشم ، الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ص١١٠

للعصور الوسطى نحو الرسم وحرمت المنحوتات ((**فالتماثيل تشبه الاوثان التي حكم عليها الكتاب المقدس بالادانة لذلك استعاضوا عنها بالرسوم نظراً لاعتقادهم ان الرسوم مفيدة لانها تساعد على تذكير المصلين بالتعاليم التي يتلقونها وان الرسم للاميين مثل الكتابة للقراء و لابد ان يكون الرسم واضح وبسيط قدر الامكان ويخلو من كل ما يصرف الانتباه عن الهدف الديني**)) [١] وهكذا لم ترفض او تمنع العصور الوسطى الفن بل وجهته لخدمة الكنيسة ونشر التقوى ولان الفن ممارسة اداته الصورة يكون اكثر تأثيراً وفاعلية على العقل كذلك تعد الصورة وسيلة تعليمية يمكن استقبالها وفهمها من قبل افراد المجتمع على اختلاف مستوياتهم على ذلك يصرح هاوزر بأن ((**الفن من حيث هو اداة للتعلم الكنسي اعظم قيمة من العلم وذلك على الاقل في الحالات التي كان الهدف فيها هو انتشار الدعوة على اوسع نطاق ممكن**)) [٢] اذن وفقاً للمتغيرات اعلاه تحددت شروط فن العصور الوسطى بالاتي

- مغادرة الرؤية التجسيدية والاحتفاء بالرمزية
- تغييب مادية الاشكال وعالم المحسوسات
- الانقطاع مع الواقع واستبدال الدنيوي بالروحي

وقد ترتب على تلك المتغيرات والشروط افولاً لمركزية الانسان وقدسية الجسد وجمالياته فالفن كوسيلة لايصال وتحقيق غايات دينية يستدعي ايجاد اشكالاً رمزية امتازت بالتسطيح وعدم مراعاة اوضبط النسب والعلاقات التشريحية للجسد وذلك لمنح الايقونات الدينية طابعاً قدسياً يترفع عن محاكاة الاشكال البشرية وهو ما يتضح في الاشكال (١، ٢ ، ٣، ٤)

---

[١] اي. هـ . غومبرتش : قصة الفن ،تر. عارف حديفة ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، وزارة الثقافة / دمشق ، ٢٠١٢ص١٦٣-١٦٤

[٢] ارنولد هاوزر: **الفن والمجتمع عبر التاريخ** ، ترفؤاد زكريا، ج١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، د.ت ص ١٥١ .

شكل (١) العذراء بين قديسن

أيقونة من القرن السابع

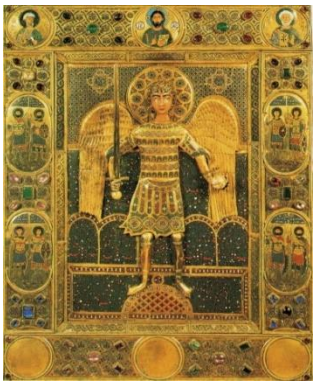

شكل (٢) الملاك ميخائيل

أيقونة من القرن الثاني عشر

شكل (٣) يسوع ورئيس الدير

ايقونة من القرن السابع

شكل (٤) يسوع والانجيل

ايقونة من القرن الثامن

من ملاحظة الاشكال اعلاه تتلخص سمات فن العصور الوسطى بالاتي :

١- التسطيح وعدم ضبط النسب والعلاقات التشريحية

٢- الجمود وفقدان الحركة

٣- زاوية النظر الامامية

٤- هالات النور حول الشخصيات المقدسة

٥- استخدام اللون الذهبي لمنح المشهد طابعاً روحانياً

٦- قوة الخطوط

٧- افتقاد الاجساد للحيوية والقوة

فنون عصر النهضة

شكلت فنون عصر النهضة انتقالة تطورية تمثلت بمحاولة استرداد الارث الاغريقي لتعرف تلك المرحلة بعصر الانبعاث او عصر احياء العلوم والفنون على ان ذلك الانتقال لم يتحقق بصورة سريعة ومفاجئة بل مر بمرحلتين الاولى عرفت بفن عصر النهضة المبكر في حين عرفت اللاحقة بعصر النهضة الذهبي ....

المرحلة الاولى : فن عصر النهضة المبكر

يتحدد بالفترة ما بين القرن الثالث والرابع عشر وهي مرحلة انتقالية من العصور الوسطى الى النهضة وقد شهدت تلك الفترة تحولاً على مستوى الفكر والثقافة والسياسة والاقتصاد رافقها تطلعات وجهود لاحياء الجذور الفلسفية والعلمية للفكر الغربي اذ تضمنت نوع من الرفض لفنون العصور الوسطى البيزنطية والقوطية من جانب ، ومن جانب اخر محاولة التجديد وبث نوع من الواقعية والطابع الانساني فثمة ((**ثورة فكرية وخاصة في**

ايطاليا عرفت باسم الحركة الانسانية حيث اعلن تفسير جديد للحياة يتفق مع المفاهيم الدنيوية والانسانية وقد التجأ رواد الفكر لتأكيد وجهة نظرهم الجديدة بالرجوع الى التراث الاغريقي واحيائه وقد تميزت اعمال الفنانين برؤية مستقاة من الطبيعة حيث ادخلوا الى جانب المواضيع الدينية موضوعات جديدة من المناظر الطبيعة)) [1]

ففي تلك المرحلة نجد انه رغم حركة التجديد الفكري والفني الا انه نجد استمرارا لسلطة الموضوع الديني رافقها نوع من المرونة والتحرر رغبة في تجديد الرؤية الفنية ومن اهم السمات التجديدية التي افتتحها الفنان جيوتو هي الاحتفاء بالواقع ومحاكاته واعادة الحياة في رسم الوجوه لتغدو اكثر قرباً من الاشكال في الطبيعة كما في لوحة القديس فرنسيس يعصي والده شكل (٥) اذ يلاحظ اختفاء الاجواء الروحانية ونوع من الاهتمام بالنسب والتشريح ثم الحركة في الاجساد واختلاف زوايا النظر ((**ففي القرن الرابع عشر اقترب جيوتو في فلورنسا من السمات الواقعية للوجوه ، ثم بلغ ذروته في محاولة التجسيد النحتي للحجوم ،فكان بداية لبعث مفاهيم الفن الاغريقي**))[2] اما السمة التجديدية الثانية التي ادخلها جيوتو فهي الطبيعة كما في الشكل (٦)

(٦) موعظة الطيور ١٢٩٧

<u>المرحلة الثانية : فن عصر النهضة الذهبي</u>

تحدد بالفترة ما بين القرنين الخامس والسادس عشر وهي المرحلة المتقدمة لعصر النهضة المبكر حيث استفادت مما حققته التحولات الاقتصادية والفكرية والاكتشافات العلمية لتتضاعف فكرة التحرر ومغادرة صنمية فنون القرون الوسطى ثم الاحتفاء بالواقع والعالم المادي ((**فأن التحول الحقيقي الذي احدثه عصر النهضة انما هو فقدان الميتافيزيقية لقوتها ، واقتصار هدف الفنان ، بطريقة كانت تزداد وضوحاً ووعياً بالتدريج ، على**

[1]) رعد مطر : اثر فنون عصر النهضة على التصوير الاسلامي ، دار النشر للجامعات ، ص٨٤

[2]) عفيف بهنسي: موسوعة تاريخ الفن والعمارة_الفن في اوروبا من عصر النهضة حتى اليوم ،ط١،دار الرائد اللبناني ،لبنان ،١٩٨٢ ،ص١٠

تصوير العالم التجريبي فكلما ازداد المجتمع والحياة الاقتصادية تحرراً من قيود تعاليم الكنيسة ، ازدادت حرية الفنان في التحول الى بحث الواقع المباشر)) [١] وبما ان عصر النهضة منذ بواكيره استرد فكرة احياء التراث الاغريقي للعلوم والفنون فأن عصر النهضة الذهبي ضاعف الاهتمام بذلك الموضوع ليستعيد الانسان مركزيته والجسد جماليته فعلى الرغم من عصر النهضة المبكر استدعى احياء التراث الاغريقي الا انه شكل مزيجاً ما بين مرحلة القرون الوسطى ومرحلة النهضة ذلك ان الاشكال استمرت محافظة نوعاً ما على بساطتها اما مع عصر النهضة الذهبي فقد اتضحت التحولات وتطبيقات التعاليم الاغريقية بما يمكن معه القول ((**ان هذا الفن كان الوريث الوفي للفن الاغريقي القديم الذي اعتبر الانسان الموضوع الاساسي للفن ، كما اصر على محاكاة الوجوه البشرية عند تمثيلها في التصوير والنحت**)) [٢]

ان فكرة مركزية الانسان والتأكيد على الخصائص الانسانية استدعت فنون عصر النهضة تطبيق الجماليات المتعالية للجسد وفقاً لما يقتضيه من دراسة للنسب وضبط العلاقات العضوية بين اجزاءه ، بما يضمن التناسق والانسجام ومطابقة الاشكال الواقعية وتأكيداً على مركزية الانسان استردت بعض الاعمال الاساطير الاغريقية التي صورت الالهة بهيئة بشرية ذات اجساد رياضية كما في تمثال (باخوس اله النبيذ) للفنان مايكل انجلو الشكل (٧) ، كذلك ضمت الرسومات الدينية لمايكل انجلو ذات التصعيد لقيمة الانسان والبنية القوية للجسد كما في جدارية خلق ادم التي صور فيها الفنان الاله بهيئة انسان شكل (٨) كذلك جدارية العائلة المقدسة شكل(٩) التي صور فيها الفنان السيدة العذراء وأحد الشخصيات الدينية بنوع من الفخامة والقوة ولتأكيد الطابع الدنيوي ومنح المشهد والشخصيات الدينية مسحة واقعية من خلال ادخال الطبيعة كخلفية للمشهد العام ونجد ان السيدة العذراء قد صورت بزياً وتسريحة شعر كأي سيدة في الحياة اليومية .

---

[١]) ارنولد هاوزر: **الفن والمجتمع عبر التاريخ** ، مصدر سبق ذكره ، ص٣٠٣ .

[٢]) عفيف بهنسي: موسوعة تاريخ الفن والعمارة_الفن في اوروبا من عصر النهضة حتى اليوم ،المصدر السابق ، ص٩

(٧) باخوس ١٤٩٦

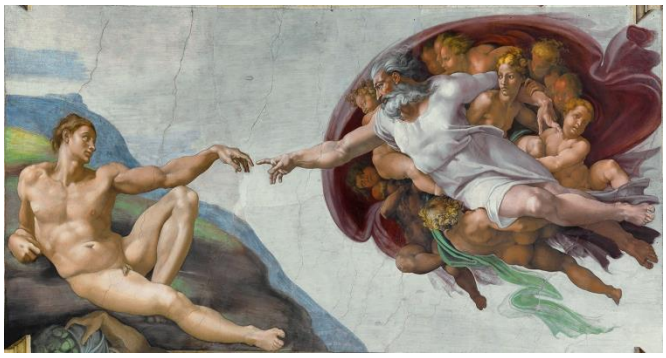

(٨) خلق ادم ١٥١٠

(٩) العائلة المقدسة ١٥٠٤

مما تقدم يمكن تحديد السمات التطورية لفنون عصر النهضة بالاتي :

١- الاحتفاء بالواقع وعالم المحسوسات

٢- تصعيد النزعة الانسانية

٣- مركزية الانسان والجسد المثالي

٤- التأكيد على الحركة واختلاف زوايا النظر

٥- دخول الطبيعة كخلفيات للمواضيع

٦- الدراسة العلمية للاشكال وفقاً لعلوم المنظور والتشريح

مما تقدم واضحاً الاختلافات الاسلوبية بين فن العصور الوسطى وفن عصر النهضة المبكر والذهبي وعلى وفق نظرية التعاقب فان الفنون الاغريقية مرت بثلاث مراحل الاولى البربرية يقابلها الفنون البدائية (طفولة الحضارة) والثانية يقابلها التحضر الفنون الاغريقية الكلاسيكية (شباب الحضارة) اما الثالثة يقابلها شيخوخة الحضارة (التدهور والانحلال) ومثلتها فنون العصور الوسطى التي بأنحلالها هيأت لنشأة دورة او مرحلة جديدة عرفت بعصر النهضة وهذا بدوره مر بمرحلة من النمو والتقدم من عصر النهضة المبكر الى عصر النهضة الذهبي الذي استمر تاثيره الاسلوبي لغاية فن الباروك والركوكو وهذه يمكن توصيفها كمرحلة متقدمة لنمو الفنون في اوربا بما يمكن عدها مرحلة تدهور وانحلال اعقبها مرحلة نمو جديدة جاءت مع الرومانسية وتجديدها الاسلوبي . اما فيما يخص الحركة التطورية للتاريخ فتارةً نجدها دائرية كما قررها ابن خلدون وهذه تفترض العودة الى البدايات كما في فنون عصر النهضة وعودتها لاحياء التراث ، او قد تكون حركة لولبية تصاعدية كما في تطور الاسلوب من عصر النهضة المبكر الى عصر النهضة الذهبي وبعده الباروك والركوكو .